جميع ما تكلم به الأنبياء

تأليف

جون ر. كروس

Originally Published in Canada under the title:
«All That The Prophets Have Spoken»
J. R. Cross
by GoodSeed® International 2001 © Copyright
Canada
ISBN 978-1-890082-55-0
GS PRINT CODE: 200809-086-5000

جميـع مـا تـكلَّم به الأنبيـاء

حقوق الطبع محفوظة ٢٠٠٧

ترجمة: **رمـزي عبـّاد**
إدارة مشروع وتحرير: **سامـر إبراهيـم**
مراجعة مجموعة من المؤمنين.

للاتصال بالمحررين athnsios@yahoo.com
للحصول على نسخة إلكترونية اذهب إلى www.thegrace.com

تَمَّ استخدام ترجمة «**فاندايك**» العربيَّة في هذا الكتاب بصورة عامَّة.
وفي حال استخدام ترجمات عربيَّة أخرى مثل
«**الترجمة التفسيرية**» أو «**الترجمة العربيَّة المُشتركة**»،
فقد تمَّت الإشارة إلى ذلك بعد الشواهد الكتابيَّة مُباشرةً.

من أجل إيضاح عبارة غامضة في آية من آيات الكتاب المقدس
فقد وضعنا مداخلتنا التوضيحية التي ليست جزءاً من الآية بين هذين القوسين [ ].

علامة النقاط الثلاث ... هي إشارة إلى أننا نقتبس أجزاء من الآية وليس الآية كلها.

استخدمنا البنط الغامق للإشارة إلى الكلمات والعبارات التي نريد منك أن تلتفت إليها.

... ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ
يُفَسِّرُ لَهُمَا الأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ
فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ ...

المحتويات

i المقدِّمـــة

٥ الفصل الأوَّل
١ . تمهيـــد ٦
٢ . وضع النقاط على الحُروف ٧
٣ . كتابٌ فَريدٌ من نوعه ٩

١٥ الفصل الثاني
١ . في البدء خَلَقَ الله ١٦
٢ . الملائكة، والجنود، والكواكب ٢١

٢٥ الفصل الثالث
١ . السَّماء والأرض ٢٦
٢ . ورأى الله ذلك أنه حسن ٣١
٣ . الرَّجُل والمرأة ٣٦

٤١ الفصل الرابع
١ . الشيطان ٤٢
٢ . أحقًّا قال الله؟ ٤٥
٣ . أين أنت؟ ٥٠
٤ . الموت ٥٣

٥٩ الفصل الخامس
١. تناقُض ظاهري ٦٠
٢. الكفَّارة ٦٤
٣. النبيّ أخنوخ ٧٣
٤. النبيّ نوح ٧٣
٥. بابل ٧٩

٨٣ الفصل السَّادس
١ . النبيُّ أيُّوب ٨٤
٢ . النبيُّ إبراهيم ٨٥
٣ . الإيمان الحقيقي ٨٧
٤ . هاجر وإسماعيل ٨٩
٥ . إسماعيل وإسحاق ٩٠
٦ . الربُّ يُدَبِّر ٩٢

٩٧ الفصل السَّابع
١ . يعقوب ويهوذا ٩٨
٢ . النبيّ موسى ٩٩
٣ . فرعون والفصح ١٠١

١٠٧ الفصل الثامن
١ . المَنّ، والسَّلوى، والماء ١٠٨
٢ . الوصايا العشر ١١٠
٣ . المحكمة ١١٦

١٢٣ الفصل التاسع
١ . خَيمة الاجتماع ١٢٤
٢ . عدم الإيمان ١٣٣
٣ . قُضاة، وملوك، وأنبياء ١٣٦

١٤٥ الفصل العاشر
١ . الملاك جبرائيل ١٤٦
٢ . المسيح ١٥٢
٣ . بين المعلمين ١٥٩
٤ . النبي يوحنَّا المَعمدان ١٦٠

١٦٧ الفصل الحادي عشر
١ . التجربة ١٦٨
٢ . السلطة والمجد ١٧٠
٣ . نيقوديموس ١٧٢
٤ . الرَّفض ١٧٥
٥ . خُبز الحياة ١٧٨

١٨١ الفصل الثاني عشر
١ . كثوب قذر! ١٨٢
٢ . الطَّريق ١٨٥
٣ . المُخطط السَّماوي ١٨٧
٤ . لعازَر ١٨٨
٥ . الجَحيم ١٩١
٦ . القبول والخيانة ١٩٣

١٩٧ الفصل الثالث عشر
١ . بُستان جَثسيماني ١٩٨
٢ . موضع الجُمجُمة (الجُلجُثة) ٢٠٠
٣ . القبر الفارغ ٢١٠

٢١٧ الفصل الرابع عشر
١ . الغَريب ٢١٨
٢ . الناموس والأنبياء ٢٢٠
– من آدم إلى نوح –
٣ . الناموس والأنبياء ٢٢٥
– من إبراهيم إلى الوصايا العشر –
٤ . الناموس والأنبياء ٢٣١
– من خيمة الاجتماع إلى الحيَّة النُحاسيَّة –
٥ . الناموس والأنبياء ٢٣٧
– من يوحنَّا المعمدان إلى القيامة –

٢٤٣ الفصل الخامس عشر
١ . جَميع ما تكلَّم به الأنبياء ٢٤٤
٢ . يسوع يعود إلى السَّماء ٢٤٤
٣ . هل تؤمن بجميع ما تكلم به الأنبياء؟ ٢٤٥

٢٤٩ مُلحق
مُعجم المُفردات ٢٥٠

المقدِّمـــة

نحن نعيش في عالم يضم العديد من الأنظمة العقائديَّة. وسواء كانت هذه الأنظمة تُدعى ديانات، أو مُعتقدات، أو بِدَع، أو هرطقات، أو مُمارسات غريبة، فإنَّ الشيء المُؤكَّد هو أنه لا يُمكن تجاهُل ما يؤمن به الناس. فالتاريخ مليء بالحروب والصراعات الدينية. في الماضي، كانت هذه الحروب تدور على المستوى المحلي. لكن مع ظهور العَولمة وتحوُّل العالم إلى قَرية عالميَّة في وقتنا الحاضر، أصبح الناس من مُختلف الديانات والمُعتقدات قريبين جدًّا بعضهم من بعض مِمَّا زاد من فُرصة حدوث صراعات هائلة فيما بينهم.

وهكذا، يجب علينا أن نعرف ما هي مُعتقدات جيراننا ولماذا يؤمنون بها. ورغم أننا قد لا نتَّفق معهم في هذه المُعتقدات، إلاَّ أنَّ معرفتنا بمعتقدات من هم حَولنا يُمكن أن تُساعدنا – على أقل تقدير – على الاختلاف معهم بطريقة واعية بعيداً عن كل حِدَّة أو تَعَصُّب. وحينما يشعُر جيراننا أننا نفهمهم فسوف يقل شعورهم بالتهديد والخطر.

يتحدَّث هذا الكتاب الذي يحمل العنوان «جميع ما تكلَّم به الأنبياء» عن الكتاب الأوسع انتشاراً وتوزيعاً في تاريخ البشريَّة ألا وهو الكتاب المقدَّس. فإذا كُنت أحد هؤلاء الأشخاص الراغبين حقًّا في فهم المحور الذي يدور حوله العهد القديم والعهد الجديد، فأنت تُمسك بالكتاب المُناسب.

لقد حاولت أن أجعل هذا الكتاب موضوعيًّاً قدر الإمكان، ولا أُنكر أنَّ هذا ليس بالأمر السهل على الإطلاق. فالكتابات النبويَّة بطبيعتها تدفعنا للتجاوب معها بطريقة أو بأخرى. رغم ذلك، فقد عملت على تفسير الأسفار المُقدَّسة بوضوح تاركاً لها المجال في أن تُعبِّر عن نفسها بنفسها، وفي أن تقول ما تُريد قوله. وبذلك، فقد أفسحتُ لك المجال أنت أيضاً لكي تستنتج الحقائق بنفسك. فما تؤمن به بشأن الكتاب المقدَّس هو أمر يرجع لك أنت وحدك.

قد يتَّهمني البعض بعدم الموضوعيَّة لأني أتحدَّث عن الكتاب المقدَّس باعتباره حقيقة واقعة. ولا يُمكنني أن أُنكر ذلك لأنَّ الكتاب المقدَّس يتحدَّث عن نفسه بهذه الطريقة. وبالتالي، إن فعلت خلاف ذلك فلن أكون أميناً للنَصّ. وأثناء كتابتي، حاولت جاهداً أن لا أُقلِّل من قيمة رسالة الأنبياء لأنَّ الأسفار المُقدَّسة واضحة ومُباشرة في ما تقوله. لهذا، فقد حرصت كُلَّ الحرص على إظهار هذه الحقيقة عن طريق تجنُّب أي نوعٍ من الغموض.

لذلك، إذا كُنت أحد هؤلاء الأشخاص الذين يرغبون في فهم رسالة الأنبياء كما كُتبت منذ قرون عديدة، فتعال واقرأ «جميع ما تكلَّم به الأنبياء». فقد تدهشك رسالتهم!

تقول كلمة اللّٰه:

«تَعَالَ!» وَمَنْ يَسْمَعْ فَلْيَقُلْ: «تَعَالَ!». وَمَنْ يَعْطَشْ فَلْيَأْتِ. وَمَنْ يُرِدْ فَلْيَأْخُذْ مَاءَ حَيَاةٍ مَجَّانًا.
لأَنِّي أَشْهَدُ لِكُلِّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالَ نُبُوَّةِ هذَا الْكِتَابِ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَزِيدُ عَلَى هذَا، يَزِيدُ اللّٰهُ عَلَيْهِ الضَّرَبَاتِ الْمَكْتُوبَةَ فِي هذَا الْكِتَابِ.
وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْذِفُ مِنْ أَقْوَالِ كِتَابِ هذِهِ النُّبُوَّةِ، يَحْذِفُ اللّٰهُ نَصِيبَهُ مِنْ سِفْرِ الْحَيَاةِ، وَمِنَ الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَمِنَ الْمَكْتُوبِ فِي هذَا الْكِتَابِ.

سفر الرؤيا ٢٢: ١٧-١٩

الفصل الأوَّل

١. تمهيد.
٢. وضع النقاط على الحروف!
٣. كتابٌ فريدٌ من نوعه!

١ . تمهيـــــد

الزمان: نحو سنة ٣٣ للميلاد.

كان الحَرُّ شديداً في منتصف ذلك النهار والصمت مُخيِّماً على المكان. فحتَّى العصافير كانت عاجزةً عن التغريد بسبب أشعة الشمس الحارقة.

كان "كليوباس» يركل قطع الطين الجافة بقدميه أثناء سيره هو ورفيقه على ذلك الطريق التُرابي الممتد من أورشليم إلى قرية مجاورة اسمها "عمواس». وكان يتنفس بعمق ويلهث من شِدَّة تعبه فيما هو يحسب المسافة المتبقية للوصول إلى بيته. كما أنه كان ينظر أمامه بعينين شبه مُغمضتين بسبب وَهج الشمس. وفي ضوء المسافة الطويلة المُتبقية، كان من المؤكد أنه لن يصل هو ورفيقه إلى قريتهما قبل غروب الشمس!

في الزيارات السابقة لأورشليم، كان كليوباس ورفيقه يرجعان إلى قريتهما في وقت مُبكِّر بعض الشيء لأنَّ عمواس كانت تبعد مسافةً طويلة نسبياً عن أورشليم سيراً على الأقدام (نحو ١١ كيلومتراً). لكنَّ الأحداث المُتلاحقة والمُثيرة التي وقعت في أورشليم في ذلك الصباح هي التي أعاقتهما بعض الشيء وجعلتهما ينتظران بضع ساعاتٍ أخرى على أمل معرفة المزيد من الأخبار عن حقيقة ما جرى في ذلك اليوم!

كان كليوباس يسير وهو شارد الذهن إلى أن قام رفيقه بتنبيهه قائلاً: «أين أوصلتك أفكارك يا صديقي؟ إنك لا تُصغي إليَّ! لقد طرحت عليك السؤال نفسه أكثر من مَرَّة دون أن تُجبني عنه!» وعندها راح كليوباس ورفيقه يتحاوران بشأن أحداث ذلك اليوم ويحاولان ربط تلك الأحداث بما حدث في السنوات القليلة الماضية؛ لكنهما أدركا في نهاية المطاف أنهما لن يتمكَّنا من فهم ما يجري. ورغم أنَّ كليوباس كان مُتعَباً ومُرهقاً، إلاَّ أنَّ حيرته الشديدة بسبب الأحداث التي وقعت في أورشليم في ذلك اليوم كانت هي هَمَّه الأكبر. فقد بدا له أنَّ الأسئلة التي تُثيرها الحياة هي أكثر من الإجابات التي تُقدِّمها!

وفيما هُما يسيران في طريقٍ منحدرٍ ومُتعرج، ظهر لهما فجأةً رجل غريب وراح يتحدث إليهما. بعد بضع ساعات وقف كلاهما وهما يتصبَّبان عرقاً أمام رفاقهما في أورشليم (التي رجعا إليها مسرعين) دون أن يتمكنا من تقديم تفسيرٍ مُقنعٍ عن ذلك الغريب الذي التقيا به! ففي بادئ الأمر، ظَنَّ كليوباس أن ذلك الغريب خرج من وراء صخرة كبيرة؛ لكن يبدو أنَّ رفيقه كان لديه رأي آخر! وحيث أنه لم يكن لدى كليوباس أي تفسيرٍ منطقيٍّ لظهور ذلك الرجل، فقد اكتفى بالقول: «كل ما أعرفه هو أن ذلك الغريب ظهر فجأةً وراح يسير معنا ويُكلِّمنا!» وعندها، ظنَّ الأشخاص الذين في أورشليم أن كليوباس ورفيقة قد أصيبا بحالةٍ من الهَذيان بسبب الحرِّ الشديد! لكنَّ الأمر الذي كان كليوباس ورفيقه مُتأكدين منه هو أنَّ ذلك الغريب كَلَّمهما بكل ما جاء في الكتب القديمة المعروفة بالأسفار المُقدّسة:

«... ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ»

(لوقا ٢٤: ٢٧)

كان تفسير ذلك الرجل الغريب للأسفار المقدسة مُقنعاً جداً لكليوباس ورفيقه؛ لكنَّ الغريب لم يكتفِ بتفسير الأسفار المقدسة لهما فحسب، بل قام بتوبيخهما أيضاً:

فَقَالَ لَهُمَا: «أَيُّهَا الْغَبِيَّانِ وَالْبَطِيئَا الْقُلُوبِ فِي الإِيمَانِ بِجَمِيعِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الأَنْبِيَاءُ!» (لوقا ٢٤: ٢٥)

ورغم أنهما كانا بطيئا الإيمان في بادئ الأمر فيما يتعلق بالأمور التي تكلَّم بها الأنبياء، إلاَّ أنَّ كل جهلٍ وشكٍّ لديهما قد تلاشى من عقليهما حينما قام ذلك الغريب بشرح رسالة الأنبياء لهما! وهكذا، فقد شعرا بحماسٍ شديد بسبب فهمهما الجديد لرسالة الأنبياء ممَّا دفعهما إلى العودة سريعاً إلى أورشليم لكي يُخبرا رفاقهما عن ذلك الغريب وما قالهُ لهما. فقد أدركا أنه ينبغي على الجميع أن يسمعوا تلك الرسالة التي سمعاها من ذلك الغريب في طريقهما الى عمواس.

والآن، هل تعلم، عزيزي القارئ، ما هو هذا الشيء المُقنع إلى هذا الحَدِّ الذي قاله ذلك الغريب عن الأسفار المقدسة؟ هذا هو السؤال الذي يُجيب عنه هذا الكتاب الذي بين يديك! ولكي تفهمه بكل وضوح، سوف نفعل الشيء نفسه الذي فعله ذلك الغريب؛ أي أننا سنرجع إلى بداية الأسفار المقدسة لإلقاء نظرةٍ فاحصةٍ على «**جميع ما تكلَّم به الأنبياء!**».

٢ . وضع النقاط على الحُروف

حينما تتوقف قليلاً وتُفكِّر في الأمر للحظات، سوف تُدرك أنَّه من المعقول جداً أن تُخصِّص بضع ساعاتٍ من حياتك لفهم ما تقوله كلمة الله. ففي نهاية المطاف، فإنَّ الكتاب المقدَّس يقول بعض الأشياء العميقة عن الحياة ... وعن الموت أيضاً!

كان الكتاب المقدَّس (الذي يحتوي أسفار الأنبياء المقدسة) وما زال هو أكثر الكُتب مَبيعاً في العالم أجمع. كما أنه أكثر كتابٍ تمَّت قراءته، وأكثر كتابٍ تمَّت ترجمته، وأكثر كتابٍ تمَّت طباعته على مَرِّ العُصور. لذلك، يجب على أي شخصٍ يدعي المعرفة أن يفهم الأفكار الرئيسية الموجودة فيه.

أُحجية

يُمكن تشبيه فهم رسالة الكتاب المقدَّس ببناء منزلٍ، أو حَلِّ أُحجيةٍ ما! فلكي نتمكَّن من تفسير كلمة الله تفسيراً صحيحاً، يجب علينا أن نضع جميع الأجزاء معاً بالطريقة الصحيحة. ولكي نتحقَّق من قيامنا بذلك كما ينبغي، سوف نقوم بتطبيق أربعة مبادئ عامَّة تُستخدم كل يوم في جميع بيئات التعلُّم سواء في المدارس أو الجامعات أو غيرها:

المبدأ الأوَّل: مبدأ السَّرد القصصي:

حينما تقرأ قصَّةً ما فإنك لا تبدأ بالفصل العاشر، ثُمَّ تقفز إلى الفصل السادس، ثُمَّ تنتقل إلى الفصل الثاني، وتَختم قراءتك بالفص التاسع! فمن المؤكد أننا لا نستطيع أن نقرأ أي كتاب بهذه الطريقة العشوائيَّة. فلكي تفهم أيَّ قصة، يجب عليك أن تبدأ من البداية، وأن تتدرَّج فيها بالترتيب إلى أن تصل إلى نهايتها. ورغم أنَّ هذا الأمر قد يبدو بديهياً وواضحاً، إلاَّ أنَّ الكثيرين يتعاملون مع الكتاب المقدَّس بطريقة عشوائية حيث يقرؤون بضع آياتٍ من هُنا، وبضع أجزاءٍ من هناك دون ترتيبٍ أو نظام!

وحيث أنَّ الكتاب المقدَّس يحتوي على الكثير من القصص، فسوف نتجنَّب التشويش الناشئ عن القراءة العشوائية وذلك عن طريق تغطية أحداثه الرئيسية وفقاً لتسلسُلها الزمني. فسوف نربط هذه الأحداث معاً بطريقة منطقية مُتتابعة تُشبه تعليق الملابس على حَبل الغسيل. وحيث أنَّ هذه النظرة العامَّة لن تكون شاملةً، فيجب أن تتوقع وجود بعض الثغرات في بعض الأماكن. وإن رغبت في تعبئة هذه الفراغات، فيمكنك القيام بذلك لاحقاً بعد أن تفهم الصورة الإجمالية العامَّة. ورغم أننا لا نستطيع أن نسرد جميع القصص المذكورة في الكتاب المقدَّس، إلاَّ أنَّ الأحداث التي سنتناولها في هذا الكتاب ستكون على شكل رسالة واحدة مُتصلة.

المبدأ الثاني: مبدأ الحساب

كما نعلم جميعنا، فنحن لا نبدأ بتعليم أبنائنا الصغار مبادئ الجبر والهندسة؛ بل نبدأ بتعليمهم مبادئ الحساب الرئيسية، ثم ننتقل معهم بصورة تدريجية من السهل إلى الصعب. أمَّا إذا أهملنا المبادئ الأساسية فسوف يكون من الصعب عليهم أن يفهموا المسائل الحسابية الأكثر تعقيداً.

وما ينطبق على الحساب ينطبق أيضاً على الأسفار المقدَّسة. فإن لم تفهم المبادئ الأساسية، فسوف يكون من الصعب عليك أن تفهم رسالة الكتاب المقدَّس بصورة صحيحة وواضحة.

ويُمكن تشبيه هذا المبدأ أيضاً ببناء منزل. فلا يُمكن للبنَّائين أن يبدؤوا ببناء السقف أولاً. فعملية البناء السليمة تبدأ بوضع الأساسات، ثم رفع الجُدران، وأخيراً تأتي مرحلة بناء السقف.

وفي هذا الكتاب، سوف نضع الأساسات أولاً لكل حَقٍّ نُريد أن نتعلَّمه. وكُلَّما انتهينا من فصلٍ وبدأنا بفصلٍ جديد، فسوف نعتمد على المبادئ والأُسس التي تعلَّمناها سابقاً.

المبدأ الثالث: مبدأ الوضوح

ينطوي هذا المبدأ على جانبين: الأوَّل يتعلَّق بتعريف المفردات الصعبة. فعلى سبيل المثال، في بعض الأحيان، يستخدم الكتاب المقدَّس كلمات ليست مألوفة لنا ولا نستخدمها في أحاديثنا اليومية. فما الذي تعنيه هذه الكلمات؟ إنَّ مبدأ الوضوح يُطالبنا بأن نبحث عن معاني هذه الكلمات من خلال الكتاب المقدَّس نفسه وفقاً لطريقة استخدامه لها.

أمَّا الجانب الثاني الذي ينطوي عليه هذا المبدأ فهو يتعلَّق بالجُمهور؛ أي الأشخاص الذين تَمَّ توجيه تلك الكلمات والعبارات إليهم. فعلى سبيل المثال، هناك أجزاء كثيرة من الكتاب المقدَّس مُوجَّهة للأشخاص الذين يؤمنون بالكتاب المقدَّس. وبالمقابل، هناك أجزاء أخرى مُوجَّهة للأشخاص الذين لا يعترفون به. لهذا، سوف يكون الأمر مُربكاً ومُحيِّراً جداً إذا قمت – عن غير قصد – بأخذ بعض الأفكار والمبادئ الخاصة بالمؤمنين التي يذكرها الكتاب وحاولت أن تُطبِّقها على غير المؤمنين. لهذا، فإنَّ مبدأ الوضوح يُطالبنا بعدم الخَلْط بين المواضيع!

المبدأ الرابع: مبدأ الأهَمّ فالمُهِمّ

يقول المبدأ الرابع إنه حينما تبدأ موضوعاً جديداً، فيجب عليك أولاً أن تتعلَّم أهَمَّ المعلومات التي يشتمل عليها. لذلك، لا تسمح لذهنك بأن يتشتَّت بسبب المواضيع الجانبية أو الثانوية.

إنَّ الكتاب المقدَّس يُغطِّي مجموعة هائلة من الموضوعات؛ لكن ليست كل الموضوعات متساوية في الأهمية. لذلك، سوف نُركِّز في هذا الكتاب على موضوع واحد فقط – أهَمُّ موضوع في الكتاب المقدَّس بأكمله. وحالما تفهم هذه الموضوع، سوف تفهم الكتاب المقدَّس بطريقة بسيطة وعميقة في آنٍ واحدٍ!

٣. كتابٌ فَريدٌ من نوعه

من المؤكَّد أنَّ الكتاب المقدَّس هو كتابٌ فريدٌ من نوعه! وفي الواقع أنَّ الكتاب المقدَّس هو مجموعة من الكُتب؛ فهو يحتوي على ستَّة وستِّين كتاباً (أو سِفراً) تُشَكِّل كتاباً كبيراً واحداً يُسَمَّى «الكتاب المُقدَّس». وقد قَدَّم أَحدُ الكُتَّاب الوصف التالي للكتاب المقدَّس:

الكتاب المقدَّس هو كتاب:

١. كُتب في فترة زمنية تمتد إلى ١٥٠٠ سنة؛

٢. كُتب على مَدى ٤٠ جيلاً؛

٣. كُتب على يد أكثر من ٤٠ كاتباً ينتمون لمُختلف الطبقات الاجتماعية، ومن بينهم:

- موسى: قائد سياسي تلقَّى تعليمه في الجامعات المصرية القديمة.
- بطرس: صيَّاد سمك.
- عاموس: راعي غنم.
- يشوع: قائد عسكري.
- نحميا: ساقي.
- دانيال: رئيس وزراء.
- لوقا: طبيب.

- سُليمان: مَلِك.
- مَتَّى: جابي ضرائب.
- بولس: مُعلِّم ديني.

٤. كُتب في أماكن مُختلفة:
- موسى كَتَب في البَرِيَّة.
- إرميا كَتَب وهو في جُبِّ السِّجن.
- دانيال كَتَب وهو على سفح التل وفي القصر.
- بولس كَتَب وهو في السجن.
- لوقا كَتَب وهو مُسافر.
- يوحنا كَتَب وهو منفي في جزيرة بَطْمُس.
- آخرون كتبوا أثناء حملاتهم العسكرية.

٥. كُتب في أزمنة مُختلفة:
- داود كَتَب في أوقات الحرب.
- سُليمان كَتَب في أوقات السِّلم.

٦. كُتب في أحوال نفسيَّة ومزاجيَّة مُختلفة:

فالبعض كتبوا وهُم في قمَّة الفرح والسعادة؛ والبعض الآخر كتبوا وهم يُعانون من مرارة الحُزن واليأس.

٧. كُتب في ثلاث قارَّات:

آسيا، وإفريقيا، وأوروبا.

٨. كُتب بثلاث لُغات:

العبريَّة، وَالآراميَّة، واليونانيَّة.

٩. وأخيراً فإنَّ موضوعاته اشتملت على مئات المسائل الجدليَّة. رغم ذلك، فقد تكلَّم جميع كُتَّاب الكتاب المقدَّس عن كل هذه المسائل بانسجام وتوافق عجيب بدءاً من سفر التكوين وانتهاءً بسفر الرؤيا. فالكتاب المقدَّس يسرد قصَّةً واحدةً[1].

وهذه القصَّة الواحدة التي تتجلي تفاصيلُها شيئاً فشيئاً هي القصة التي نُريد أن نتفحَّصها ببساطة بعيداً عن أيَّة تعقيدات لاهوتية. ومن بين الأمور الفريدة بشأن الكتاب المُقدَّس هو أنه يقول عن نفسه بأنه «كلمة الله»!

وحي الكتاب المُقدَّس

نقرأ في صفحات الكتاب المقدَّس:

«كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحًى بِهِ مِنَ اللهِ ...» (٢ تيموثاوس ٣: ١٦)[2]

إنَّ موضوع «وحي الكتاب المقدَّس» هو من الموضوعات العميقة التي تحتاج لدراسة مُنفصلة. لكن إن أردنا تبسيط فكرة الوحي والتعبير عنها بعبارات مفهومة، فيمكننا القول بأنه كما أنَّ الإنسان يزفُر الهواء من رئتيه، فإنَّ الله قد نفخ كلمات هذا الكتاب العظيم. لهذا، يجب

علينا أن ننظر إلى الكتاب المقدَّس بأكمله على أنه من نِتاج الله نفسه. وهكذا فإنَّ الله وكلمته شيءٌ واحد؛ وهذا هو أحد الأسباب الداعية لتسمية الكتاب المقدَّس بـ «كلمة الله».

الأنبياء

إنَّ الأمر في غاية البساطة. فقد أخبر الله بعض الأشخاص بما يُريد أن يُدوِّنه عن نفسه. وبناءً على ذلك، قام هؤلاء الأشخاص بتدوين ما قاله الله لهم. وقد دُعي مُعظم هؤلاء الرجال بالأنبياء:

«اَللهُ، ... كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا ...» (عبرانيّين ١: ١)

في الأزمنة القديمة، كان النبيُّ ينقل كلام الله إلى الناس. وعادةً ما كان النبي يتحدث عن الأمور الحياتية؛ لكن في كثيرٍ من الأحيان كان النبي يتحدث عن أمور ستحدث في المستقبل القريب أو البعيد. وقد كان التنبُّؤ بالمستقبل هامًّا لدرجة كبيرة لأنه كان يُعتبر بمثابة اختبار لمصداقية الشخص فيما إذا كان نبيًّا حقيقياً أم زائفاً.

«فَمَا تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِيُّ بِاسْمِ الرَّبِّ وَلَمْ يَحْدُثْ وَلَمْ يَصِرْ، فَهُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ الرَّبُّ ...» (تثنية ١٨: ٢٢)

كان يتم التحقُّق من صحَّة رسالة النبي عن طريق تحقُّق نُبوءاته. وكان يتوجب على النبي أن يكون دقيقاً في نبوءاته مئة بالمئة؛ فلا يوجد أي مجال للخطأ:

«وَأَمَّا النَّبِيُّ الَّذِي يُطْغِي، فَيَتَكَلَّمُ بِاسْمِي كَلاَمًا لَمْ أُوصِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ، أَوِ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِاسْمِ آلِهَةٍ أُخْرَى، فَيَمُوتُ ذلِكَ النَّبِيُّ» (تثنية ١٨: ٢٠)

وهكذا، فقد كان الله يُرشد الأنبياء ويقودهم بطريقة تجعلهم يكتبون ما يريده هو تماماً. لكن في الوقت نفسه، فقد سمح الله للكُتَّاب البشريِّين أن يكتبوا كلمته بأسلوبهم الخاص – لكن دون أخطاء. لهذا، لم يكن هؤلاء الكُتَّاب أحراراً في إضافة أفكارهم الخاصة إلى الرسالة، ولا كتابة ما يشاءون:

«عَالِمِينَ هذَا أَوَّلاً: أَنَّ كُلَّ نُبُوَّةِ الْكِتَابِ لَيْسَتْ مِنْ تَفْسِيرٍ خَاصٍّ. لأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (٢ بطرس ١: ٢٠–٢١)

لكن هذا لا يعني أنَّ هؤلاء الأشخاص كتبوا ما أرادوا ثم قام الله بوضع ختمه على مؤلفاتهم الأدبيَّة! بل إنَّ كلمة «مسوقين»[٢] في الآية أعلاه تَرِد في مواضع أخرى في كلمة الله للإشارة إلى حَمل رجُلٍ مشلول. فكما أنَّ الشخص المشلول لا يمكنه أن يمشي من تلقاء نفسه؛ كذلك لم يكُن بإمكان هؤلاء الأنبياء أن يكتبوا الأسفار المُقدَّسة من تلقاء أنفسهم أو بحسب رغباتهم.

الدقَّة المُتناهية

قامَ الأنبياء بتدوين كلام الرب على رقوقٍ من جلد أو ورق مصنوع من ألياف الأشجار. وعادةً ما تُعرَف تلك النُسخ بـ «المخطوطات الأصليَّة».

وحيث أنَّ المخطوطات الأصلية كانت قصيرة العُمر، فقد تم عمل بعض النُّسخ اليدوية الأخرى من هذه المخطوطات. وحيث أنَّ النُسَّاخ كانوا يُدركون أنَّ هذا هو كلام الله، فقد تميَّز عملهم بدقَّة وعناية فريدتين لم يشهد التاريخ مثيلاً لهما. فقد اتَّبعوا في نسخهم للمخطوطات العبريَّة ... أسلم الطُرق مهما كانت مُتعبة أو مُضنية وذلك بهدف التأكد من نقل تلك المخطوطات بكل أمانة. كذلك، فقد كانوا يحرصون على عَدِّ أحرف المخطوطة

حرفاً حرفاً وتحديد الحرف الأوسط. وكانوا يفعلون الشيء نفسه مع الكلمات حيث كانوا يعدُّونها ويحددون الكلمة الوسطى[٤] ... وقد قام النُسَّاخ بهذا الأمر في النسخة والأصل للتحقُّق من دقَّة عمليَّة النسخ والتطابُق بين الأصل والنُسخة.

وتُبيِّن مخطوطات البحر الميِّت (التي تم اكتشافها في سنة ١٩٤٧ للميلاد) الدقَّة المُتناهية التي كان يتمتَّع بها هؤلاء النُسَّاخ. فلم يتم العثور على أي اختلافات جوهرية بين مخطوطات البحر الميِّت (التي يرجع تاريخ كتابتها إلى سنة ١٠٠ قبل الميلاد) وبين المخطوطات التي نشأت من عمليات النسخ العديدة التي جرت على مدى ألف سنةٍ لاحقةٍ (لغاية سنة ٩٠٠ للميلاد).[٥]

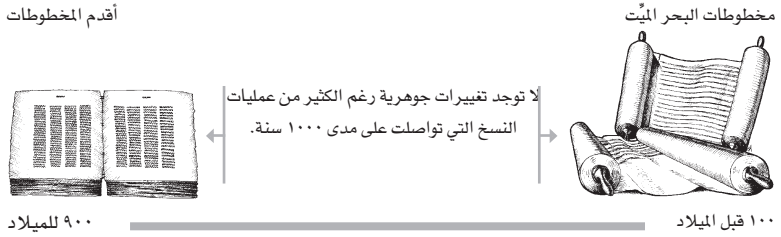

وقد لخَّص المؤرخ اليهودي «يوسيفوس» (الذي عاش في القرن الأوَّل للميلاد) هذا الأمر لشعبه فقال: «... يَظهر مقدار حرصنا واهتمامنا بكتب أُمَّتنا من خلال ما نقوم به. فطوال العصور الكثيرة التي انقضت، لم يتجاسر أحد على إضافة أيِّ شيءٍ إليها، أو حذف أيِّ شيءٍ منها، أو إدخال أيَّة تغييراتٍ عليها. لأن هذه الكتب يعتبرها اليهود موحى بها من الله».[٦]

وهكذا، فقد كان هؤلاء النُسَّاخ مُقتنعين تماماً بأنَّ محاولة التلاعُب بتلك النصوص تعني العبث مع الله نفسه. لذلك، فنحن على يقين بأنَّ الكتاب المقدَّس الذي بين أيدينا الآن يحتوي على نفس الأسفار المقدَّسة التي كتبها أنبياء الله.

التَرجمات

كُتبت المخطوطات الأصليَّة بالعبريَّة، أو الآراميَّة، أو اليونانيَّة. وبالطبع، فقد كانت عمليَّة النسخ تتم بنفس اللغة المكتوبة بها المخطوطة الأصليَّة. لكن بما أنَّ الكثيرين منَّا لا يعرفون هذه اللغات، فقد تَمَّت ترجمة الكتاب المقدَّس إلى العديد من اللُّغات الأخرى بالاعتماد على النصوص الأصليَّة التي ترجع جذورها إلى العصور القديمة.

فعلى سبيل المثال، فقد اعتمدت ترجمات العهد القديم (الشريعة، والكُتب، والأنبياء) على مخطوطات قديمة ما زالت موجودة حتى يومنا هذا؛ وهي مخطوطات يرجع تاريخها إلى نحو سنة ١٠٠ قبل الميلاد. وقد اقتبس السيِّد المسيح من الترجمة اليونانيَّة للمخطوطات العبريَّة؛ وهي ترجمة كانت قد اكتملت قبل نحو ١٥٠ سنة من مجيء السيِّد المسيح إلى هذه الأرض. وما زالت هذه الترجمة اليونانية موجودة حتى يومنا هذا ويمكن للمرء قراءتها. كذلك، فإنَّ العهد الجديد (الذي يُغطِّي حياة السيِّد المسيح) يستخدم حوالي ٢٧٠٠ مخطوطة يونانية يرجع تاريخها إلى القرن الثاني قبل الميلاد. ويمكن الرجوع إلى أيٍّ من

هذه المخطوطات للتحقُّق من صحَّة ودقَّة ما نقرأه الآن. وهكذا، يمكننا أن نقول بكل ثقة إنَّ ما كتبه الأنبياء القُدماء هو نفس ما نقرأه اليوم.

وقد شَهد الأنبياء أنفسهم بأنَّ الله سيحفظ كلمته المكتوبة من التغيير:

«يَبِسَ الْعُشْبُ، ذَبُلَ الزَّهْرُ. وَأَمَّا كَلِمَةُ إِلهِنَا فَتَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ» (إشعياء ٤٠: ٨)

كما قال السيِّد المسيح:

«فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ» (مَتَّى ٥: ١٨)

وما من شَكٍّ أنَّ الله العظيم والقدير قد حفظ كلمته بكل أمانة.

كلمة الله

سواء كُنت تتذكَّر التفاصيل المُتعلِّقة بالترجمة أم لا، فإنَّ هذا لا يهُمُّ. فالشيء المهم هو أنَّ الكتاب المقدَّس يشهد عن نفسه بأنه كلمة الله المكتوبة – رسالته إلى البشر. كما أنه يُخبرنا أننا نستطيع أن نتعرَّف على الله من خلاله. لهذا، يجب أن نتشجَّع على التوقُّف والتفكير في ما يقوله هذا الكتاب العظيم:

«إِلَى الأَبَدِ يَا رَبُّ كَلِمَتُكَ مُثْبَتَةٌ فِي السَّمَاوَاتِ» (المزمور ١١٩: ٨٩)

أدوات المِلاحَة

إذا لم تكن تعرف كيف تشُقُّ طريقك بنفسك عبر كلمة الله، فقد تُساعدك المعلومات التالية على القيام بذلك:

يتألَّف الكتاب المقدَّس من ستَّة وستِّينَ قسماً رئيسيًّاً تُدعى «أسفاراً». وتنقسم هَذه الأسفار بدورها إلى أجزاء ثانويةً تُدعي أصحاحات أي: فُصول. ثم تنقسم هذه الأصحاحات بدورها إلى وِحدات صغيرة تُدعى «آيات» أو «أعداد». إذاً، فالكتاب المُقدَّس ينقسم إلى أسفار مؤلَّفة من أصحاحات وآيات.

تُسمَّى الأسفار التي كُتبت قبل مجيء السيِّد المسيح إلى هذه الأرض بالعهد القديم. أمَّا الأسفار المُتبقِّية (أي التي كُتبت بعد مجيء السيِّد المسيح) فتُسمَّى بالعهد الجديد.

في القديم، كان العهد القديم ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١. الشريعة: وتُسمَّى أحياناً «شريعة موسى»، أو «التوراة»، أو «كُتُب موسى»، أو «أسفار موسى الخمسة»، أو «الناموس».

٢. الكُتُب: وتُسمَّى أحياناً «الكتوبيم»، أو «الأسفار الشعريَّة»؛ وهي تشتمل على مزامير داود (أو ما يُعرَف لدى البعض بـ «الزَبور»).

٣. الأنبياء: وهي أسفار نبويَّة تحمل أسماء كاتبيها من الأنبياء.

أمَّا عبارة «الناموس والأنبياء» فهي اصطلاح يُشير إلى العهد القديم بأكمله؛ وهو الجُزء الذي يؤلِّف ثُلثيّ الكتاب المقدَّس تقريباً.

أمَّا الثُّلث الباقي المعروف بالعهد الجديد فيشتمل على قصص عن حياة السيِّد المسيح (ويُشار إليها بـ «الإنجيل»).

وفي بعض أنحاء العالم، يُشار إلى الأسفار المُقدَّسة بكلمة «بايبل» Bible؛ وهي كلمة لاتينيَّة تعني «كتاب»، وهي تُترجم في لُغتنا العربيَّة بـ «الكتاب المُقدَّس». لهذا، يقتضي التنويه بأنَّ عبارة «كتاب مُقدَّس» لا ترتبط بأي فئة أو طائفة أو جماعة. أمَّا في هذا الكتاب، فسوف نستخدم هذه العبارة نفسها بالإضافة إلى المُصطلحات الأخرى المُستخدمة في الكتاب المقدَّس مثل «كلمة الله»، أو «الكلمة».

الفصل الثاني

١. في البدء خَلَقَ اللّٰه ...
٢. الملائكة، والجنود، والكواكب.

١ . في البدء خَلَقَ الله ...

الله عظيمٌ! وهذا هو ما يُعلنه الكتاب المقدَّس مراراً وتكراراً. وتتجسَّد عَظَمة الله في العبارة الأولى من الكتاب المقدَّس؛ بل في الكلمات الأربع الأولى منه والتي تقول:

«فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ ...» (تكوين ١: ١)

وهكذا، ليست هناك أيّ عبارات جدليَّة افتتاحيَّة بشأن وجود الله. فوجود الله أمر مؤكَّد. أجل، فالله موجود دون أدنى شَكٍّ!

سرمـــديّ

الله موجود منذ الأزل. فهو هناك قبل النباتات، والحيوانات، والبشر، والأرض، والكون. وهو ليس له بداية، ولن تكون له نهاية. فالله موجود دائماً وسيبقى كذلك إلى ما لا نهاية. ويقول الكتاب المقدَّس إنَّ الله موجود منذ الأزل السحيق وإنه سيبقى موجوداً إلى أبد الآبدين. وباختصار شديد، فإنَّ الله سرمديٌّ. وقد كتب نبيُّ الله موسى الكلمات التالية عن الله:

«مِنْ قَبْلِ أَنْ تُولَدَ الْجِبَالُ، أَوْ أَبْدَأْتَ الأَرْضَ وَالْمَسْكُونَةَ، مُنْذُ الأَزَلِ إِلَى الأَبَدِ أَنْتَ اللهُ»

(المزمور ٩٠: ٢)

قد تكون فكرة وجود إله أزلي أبدي عسرة الفهم للبعض! فالكثيرون يقولون إنَّ هذا مُستحيل! لكن ربما تكون هناك بعض التشبيهات التي تساعدنا على استيعاب هذه الحقيقة. فعلى سبيل المثال، يمكننا مقارنة الأزل بفضاء الكون.

أغلبنا يعرف عن المنظومة الشمسيَّة؛ فالشمس مُحاطة بكواكب سَيَّارة تدور في أفلاك أو مدارات. ورغم أنَّنا نعرف أنَّ هذا الكون فسيح جدًّا، إلاَّ أنَّ أجهزة رصد السماء والنجوم جعلت أبعد المسافات تبدو قريبة. لكن ماذا لو تقدَّمنا خطوة أخرى وبدأنا بقياس الكون؟ إذا ركبنا مركبة فضائية وسافرنا بسرعة الضوء، فسوف ندور حول الأرض سبع مرَّات في الثانية الواحدة! هل استمتعت برحلتك؟ وإذا انطلقنا في الفضاء باتجاه القمر بنفس هذه السرعة، فسوف نصل إلى القمر في ثانيتين، والى كوكب المرِّيخ في أربع دقائق، والى كوكب بلوتو في خمس ساعات. ومن هناك يمكننا أن ننطلق إلى مَجَرَّتنا المُسَمَّاة «درب التَبَّانة».

مَجرَّة درب التبَّانة[1]

إنَّ مجموعة النجوم التي تراها في السماء في الليل هي جزء من عائلة كبيرة من النجوم تُعرف بدرب التبَّانة. وإن سافرت بسرعة الضوء، سوف تحتاج لمئة ألف سنة لكي تسافر عبر هذه المجرَّة من بدايتها إلى نهايتها. ويوجد هناك حوالي ١٠٠ بليون مجرَّة في الكون تتألَّف الكثير منها من بلايين النجوم. وتأتي المجرَّات في مجموعات صُغرى وأخرى كُبرى. وتحتوي المجموعة الصُغرى التي ننتمي إليها نحن على نحو عشرين مجرَّة. أمَّا المجموعة الكُبرى التي ننتمي إليها فتحتوي على آلاف المجرَّات!

هل تريد نجماً يحمل اسمك؟[2]

بناءً على تعداد السُكان في العالم كله في وقتنا الحاضر، يمكنك أن تُطلق اسمك على ١٦ مجرَّة؛ وهذا يعني أنَّ بلايين النجوم والكواكب يمكن أن تحمل اسمك!

عند هذه النقطة، يمكنك أن تقول بأنك قد بدأت رحلتك في هذا الكون.

إذا انطلقت بسرعة الضوء فسوف تصل إلى أقرب مجرَّة في مليونيّ سنة ...

وسوف تصل إلى أقرب مجموعة أخرى من المجرَّات في ٢٠ مليون سنة ...

إذا سرت بسرعة الضوء فسوف تدور حول الأرض سبع مرَّات في الثانية الواحدة ...

... وتمر بجانب القمر في غضون ثانيتين ...

وتبلُغ بلوتو في خمس ساعات.

... وتصل إلى المرّيخ في أربع دقائق ...

وإن سرت بسرعة الضوء، فسوف تصل إلى أقرب نجم في ٤ سنوات و٤ أشهر تقريباً. وهذا يعني أنك تقطعُ في كل ثانية من هذه السنوات مسافة ١٨٦ ألف ميل (أي ٣٠٠ ألف كم). أي أنك ستقطع خلال هذه الفترة الزمنيَّة مسافة إجمالية تبلغ ٢٥ر٢٨٤ر٠٠٠ر٠٠٠ ميل (أو ٤٠ر٦٨٢ر٣٠٠ر٠٠٠ كم).

تقع الشمس بالقرب من طرف درب التبّانة. وتحتل منظومتنا الشمسية بكل ما فيها من كواكب سيَّارة مساحة تُقدَّر بمساحة هذا المُربَّع في هذا الكون!

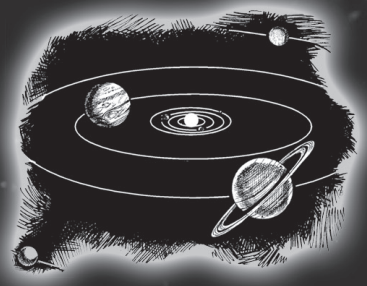

أجل، قد يكون من الصعب على عقلنا البشري أن يستوعب فكرة وجود إله سرمدي! لكنَّ هذا هو أيضاً حال الكون الذي نعيش فيه. ورغم أنَّ كلا الأمرين مُحيِّرٌ للعقل، إلاَّ أنَّهما حقيقتان واقعتان. وهذا هو ما يؤكِّده الكتاب المقدَّس. فالوجود السرمديُّ لله هو جزء لا يتجزَّأ من عَظَمته لدرجة أنَّ كلمة الله تُشير إليه بهذا الاسم:

«... بِاسْمِ الرَّبِّ الإِلهِ السَّرْمَدِيِّ» (تكوين ٢١: ٣٣)

أسماء عديدة

هناك العديد من الأسماء أو الألقاب لله. وكل اسم من هذه الأسماء يُعلن شيئاً ما عن ذاته وعظمته. والآن، تعال بنا نُلقي نظرةً خاطفةً على ثَلاثةٍ من هذه الأسماء:

١) أهْيَه (أنا هو الكائن)

فَقَالَ اللهُ ...: «أَهْيَهُ الَّذِي أَهْيَهُ». وَقَالَ: «هكَذَا تَقُولُ ...: «أَهْيَهُ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ» (خروج ٣: ١٤)

أقرب تفسير لهذه الآية هو: «أنا هو الكائن»، أو «أنا الكائن الدائم». فالله موجود بقُدرته الذاتيَّة. ففي حين أننا نحتاج إلى الطعام، والماء، والهواء، والنوم، والضوء، والكثير من الأمور الأخرى لكي نتمكَّن من العيش والبقاء؛ فإنَّ الله ليس كذلك. فهو لا يحتاج إلى أيِّ شيءٍ على الإطلاق! فهو الكائن بذاته ... إنه «أهْيَه».

٢) الربُّ أو يهوه

إنَّ لقب «أهْيَه» («أنا هو») ليس شائعاً في الكتاب المقدَّس لأنَّ معناه مُتضمَّن في كلمة «رَبّ» أو «يهوه» الذي هو اسم الله الشخصي، مثلما يُدعى شخص ما باسمه مثل سمير أو سعاد. لهذا، ومن باب التوقير لهذا الاسم، فإن ترجمات الكتاب المقدس تستخدم لقب «الرب» للإشارة إلى اسم «يهوه».

«لاَ مِثْلَ لَكَ يَا رَبُّ! عَظِيمٌ أَنْتَ، وَعَظِيمٌ اسْمُكَ فِي الْجَبَرُوتِ» (إرميا ١٠: ٦)

إنَّ كلمة «رَبّ» لا تُشير إلى وجود الله الذاتي السرمدي فحسب، بل تُركِّز أنظارنا أيضاً على منزلته السامية؛ فهو أسمى من كُلِّ ما عَداه، وهو رَبُّ الأربابِ.

٣) العَليُّ

يرتبط هَذا الاسم باسم «الربّ» من خلال تركيزه على دور الله بصفته حاكماً مُطلق السيادة والسُّلطان.

«وَيَعْلَمُوا أَنَّكَ اسْمُكَ يَهْوَهُ وَحْدَكَ، الْعَلِيُّ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ» (المزمور ٨٣: ١٨)

فكما أنَّ الإمبراطوريَّات القديمة كان لها حُكَّام مُطْلَقون يُهيمن كُلٌّ منهم هيمنةً كاملةً على منطقته، فإنَّ الله هو مَلك هذا الكَون، وهو الله العليّ. وحتَّى أنَّ كلمة «الرب» نفسها تؤكِّد على مكانته كحاكم مُطْلَق على الكون وما فيه. وكلمة «الرب» تعني «القويّ»، أو «القائد القدير»، أو «الإله المُطْلَق».

«اَلرَّبُّ فِي هَيْكَلِ قُدْسِهِ. الرَّبُّ فِي السَّمَاءِ كُرْسِيُّهُ. عَيْنَاهُ تَنْظُرَانِ. أَجْفَانُهُ تَمْتَحِنُ بَنِي آدَمَ» (المزمور ١١: ٤)

إنَّ الله يحكُم ويسود من السَّماء. ورغم أنَّنا لا نعرف سوى القليل عن السَّماء، إلاَّ أنَّ هذا الكَمَّ القليل الذي نعرفه كافٍ لإذهالنا! سوف نناقش هذا الموضوع بصورة أكثر تفصيلاً

فيما بعد؛ لكن يكفينا أن نعرف الآن أنَّ هذا الإله العظيم هو الحاكم المُطْلَق.

إله واحد فقط

إنَّ كلمة «العَلِيّ» تعني أنَّ الله هو إلهٌ فريدٌ ولا مثيل له دون أدنى شَكٍّ. ويُعتبر هذا جانباً آخر من جوانب عظمته. فما من أحد يُشبهه على الإطلاق. لهذا فهو ينفرد في الإلوهيَّة، وهو الربُّ المُطلق السيادة على الكُلِّ.

«أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ. لاَ إِلهَ سِوَايَ ...» (إشعياء ٤٥: ٥)

«... قَبْلِي لَمْ يُصَوَّرْ إِلهٌ وَبَعْدِي لاَ يَكُونُ» (إشعياء ٤٣: ١٠)

لهذا، لا يوجد تسلسُل هرمي للآلهة، ولا يوجد إله كبير يسود على الآلهة الأخرى. فما من آلهة أخرى في هذا الكون سواء كانت قائمة بذاتها أو مخلوقة.

«هكذا يقولُ الرَّبُّ ... أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ، وَلاَ إِلهَ غَيْرِي» (إشعياء ٤٤: ٦)

وهكذا، فإنَّ الكتاب المقدَّس واضح تمام الوضوح في تأكيده بأنه لا يوجد سوى إله واحد فقط.

«وَاحِدٌ هُوَ وَاضِعُ النَّامُوسِ، الْقَادِرُ أَنْ يُخَلِّصَ وَيُهْلِكَ ...» (يعقوب ٤: ١٢)

الله روح

قبل أن ننهي هذا الموضوع، يجب أن نفهم شيئاً أخيراً. فالكتاب المقدَّس يُخبرنا أنَّ الله غير مرئيٍّ لأنَّه روح:

«اَللهُ رُوحٌ ...» (يوحنا ٤: ٢٤)

فَكِّر في جنازة أحد الأشخاص الذين رحلوا عن هذه الحياة مؤخراً! فقد كان جسد ذلك الشخص موجوداً ومرئياً، لكن أين هو؟ لقد رَحَل ولم تعُد روحه موجودة. فحينما ننظر إلى الأشخاص من حولنا فإننا لا نرى سوى هياكلهم الخارجيَّة (أي أجسادهم)؛ لكننا لا نستطيع أن نرى كيانهم الحقيقي الذي يُعرف بـ «الروح».

يُشير الكتاب المقدَّس بطُرق عديدة إلى أنَّ روح المرء تبدأ من نقطة زمنيَّة مُعيَّنة وتستمر إلى الأبد. أمَّا الله فهو مختلف لأنه ليس له بداية ولن تكون له نهاية. لذلك، فهو الروح السرمديّ الوحيد الكائن من الأزل إلى الأبد.

وهكذا، فإنَّ الله: **روح**.

وهو: **سرمديّ**.

وهو: **أهْيَه** (أنا هو الكائن).

وهو: **العليُّ** (الحاكم المُطلق على الكُلِّ).

وهو: الإله **الوحيد**.

٢ . الملائكة، والجنود، والكواكب

يمكننا من خلال الكتاب المقدَّس أن نتعرَّف على عمليَّة الخلق الأولى التي قام بها الله. فقد قام الله في البدء بخلق الكائنات الروحيَّة.

أسماؤها

يُطلِق الكتاب المقدَّس على الكائنات الروحيَّة أسماءً عديدةً بعضها يَرِد بصيغة المُفرد، وبعضها الآخر يَرِد بصيغة الجمع. وغالباً ما نُطلق على هذه الكائنات اسم «الملائكة»؛ لكنَّ كلمة الله تستخدم العديد من المفردات مثل: الكروبيم، السَّرافيم، الملائكة، رئيس الملائكة، كَواكب الصُّبح، وغيرها. وغالباً ما يُشار إلى هذه الكائنات مُجتمعةً بكلمة «جُموع» أو «جُنود»، أو «كواكب» ❖.

❖ ملحوظة: يجب عدم الخَلط بين كلمة «كواكب» هنا وكلمة «كواكب» التي تُشير إلى النجوم في السَّماء.

«... وَجُنْدُ السَّمَاءِ لَكَ يَسْجُدُ» (نحميا ٩: ٦)

ورغم أنَّ جميع هذه الكائنات الروحيَّة يمكن أن يكون لها أسماء شخصيَّة، إلاَّ أنَّ الكتاب المقدَّس لا يذكُر سوى عدداً قليلاً جداً من أسمائها مثل «جبرائيل» و«ميخائيل».

غير مرئيَّة، ولا تُحصى

كما هو الحال مع الله، فإنَّ الكائنات الروحيَّة هي كائنات غير مرئيَّة أيضاً. فهي ليس لها جسد أو لحم ودم مثلنا نحن البشر. ورغم أنَّنا لا نستطيع رؤيتها، إلاَّ أنها موجودة في كل مكان. ويخبرنا الكتاب المُقدَّس أن أعدادها لا تُحصى:

«... حَفْلَةٍ يَجْتَمِعُ فِيهَا عَدَدٌ لاَ يُحْصَى مِنَ الْمَلاَئِكَةِ»

(عبرانيِّين ١٢: ٢٢ - بحسب الترجمة التفسيرية)

وإن نظرنا إلى الألفاظ المُستخدمة لوصف عدد الملائكة التي تُحيط بعرش الله فسوف نُدرك أنها ألفاظ مجازيَّة تُشير إلى أعدادها الهائلة:

«ثُمَّ نَظَرْتُ، فَسَمِعْتُ تَرْتِيلَ الْمَلاَيِينِ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ وَهِيَ تُحِيطُ بِالْعَرْشِ وَبِالْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ وَالشُّيُوخِ»

(سفر الرؤيا ٥: ١١ - التفسيرية)

أرواح خادمة

لقد خلق الله الملائكة لكي تخدمه وتعمل مَرضاته. لهذا فهي تُدعى أرواحاً خادمةً:

«بَارِكُوا الرَّبَّ يَا مَلاَئِكَتَهُ الْمُقْتَدِرِينَ قُوَّةً، الْفَاعِلِينَ أَمْرَهُ عِنْدَ سَمَاعِ صَوْتِ كَلاَمِهِ. بَارِكُوا الرَّبَّ يَا جَمِيعَ جُنُودِهِ، خُدَّامَهُ الْعَامِلِينَ مَرْضَاتَهُ»

(المزمور ١٠٣: ٢٠، ٢١)

«أَلَيْسَ جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحًا خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ ...» (عبرانيِّين ١: ١٤)

إنَّ كلمة «ملاك» مُشتقَّة من مُصطلح عبري يعني «رسول» أو «خادم». وحيث أنَّ الملائكة كائنات مخلوقة، فهي تخضع لله خالقها وتعمل ما يأمرها به.

الخالق – المالك

لقد فَقَدت فكرةَ أنَّ الخالق هو المالك معناها الحقيقي في مجتمعاتنا المعاصرة. فعلى سبيل المثال، أذكر أنني قُمت يوماً بزيارة إحدى القُرى القبليَّة في بابوا – غينيا الجديدة. وحينما كنت أسأل الناس هناك: «لِمَنْ هَذا المِجداف؟» أو «لِمَنْ هذا القارب؟»، كُنت أتلقَّى إجابةً تُشير إلى مالك ذلك الشيء. وحينما سألتهم كيف عرفوا من هُو المالك، نظروا إليَّ باستغراب! فالمالك في نظرهم هو ذاك الشخص الذي صنع ذلك الشيء! وهكذا، فقد كانت فكرة أنَّ خالق الشيء (أو صانعه) هو مالكه الحقيقي راسخة لديهم. وحينما سألتهم عَمَّا إذا كان من اللائق أن أكسر مجدافاً ما، أجابوا قائلين بأنها ليست فكرة صائبة على الإطلاق – إلاَّ إذا كنت أسعى للمتاعب مع صانع المجداف الذي هو نفسه مالكه! وحينما سألتهم عَمَّا إذا كان بإمكان مالكه أن يكسره، هَزُّوا رؤوسهم وأكتافهم بالإيجاب بما معناه: «أجل، من حَقِّ المالك أن يكسره لأنه هو الذي صنعه!»

وهكذا، حيث أنَّ الله هو الذي خلق الملائكة، فمن البديهي أن يكونوا تابعين له. وبما أنهم يتبعونه ويخضعون له، فينبغي عليهم أن يمتثلوا لأوامره باعتبارهم خُدَّامه ورُسُله. وبالطبع، لم يكُن هذا شكلاً آخر من أشكال العُبوديَّة؛ فليس هناك أيُّ تشابه بين ما يقوم به الملائكة وبين العبوديَّة الإجباريَّة. فلم يكُن بإمكان الملائكة أن يحظوا بخالقٍ وسيِّدٍ أفضل من الله.

ذكاء خارق وقوَّة عجيبة

لكي تتمكَّن الملائكة من تنفيذ أوامر الله، فقد منحها الله ذكاءً خارقاً وقوَّةً عجيبة. وتتمتَّع بعض هذه الكائنات الملائكيَّة بقدرات تفوق غيرها. ورغم أنَّ الله خلق الملائكة كاملين وبلا شَرٍّ، إلاَّ أنهم ليسوا كائنات آليَّة. ففي حقيقة الأمر أنهم يمتلكون إرادة تُتيح لهم حُريَّة الاختيار.[٣]

أوجه الشبه والاختلاف

تشترك الملائكة في بعض أوجه الشبه مع الإنسان رغم أنها تفوق الإنسان في الذكاء والقوَّة. ويقول الكتاب المقدَّس إنَّ الله أنقص الإنسان قليلاً عن الملائكة:

«وَتَنْقُصُهُ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ ...» (المزمور ٨: ٥)

ورغم أوجه التشابُه بين الإنسان والملائكة، إلاَّ أنَّ الملائكة تختلف عن الإنسان في أنها لا تموت[٤]، ولا تتزوَّج، ولا تُنجِب[٥]. ورغم أنها غير مرئيَّة، إلاَّ أنها تُظهر نفسها في بعض الأحيان. وحينما تتكلَّم الملائكة مع البشر فهي تستخدم لُغةً يفهمها السامع!

الكروبيم الممسوح

كان أقوى وأذكى وأجمل روح خلقه الله هو كروبيم (نوع من الملائكة) ويُترجَم اسم هذا الكروبيم بـ «لوسيفر»[٦] الذي يعني «المُشْرق» أو «كوكب الصُّبح».

«كَيْفَ سَقَطْتِ مِنَ السَّمَاءِ يَا زُهَرَةُ، بِنْتَ الصُّبْحِ؟ ...» (إشعياء ١٤: ١٢)

يُشار إلى «لوسيفر» بأنه كروبيم ممسوح. ويرجع معنى كلمة «ممسوح» إلى الطقوس القديمة التي كان يتم فيها صَبُّ الزيت على شخص ما أو شيءٍ ما لفرزه وتكريسه للقيام بعمل مُحدَّدٍ للرب. وكان هذا العمل مُقدَّساً ولا يجوز الاستخفاف به.

«وَمَسَحْتُكَ لِتَكُونَ الْكَرُوبِيمَ الْمُظَلِّلَ وَأَقَمْتُكَ عَلَى جَبَلِ اللهِ الْمُقَدَّسِ، وَتَمَشَّيْتَ بَيْنَ حِجَارَةِ النَّارِ.

كُنْتَ كَامِلاً فِي طُرُقِكَ مُنْذُ يَوْمَ خُلِقْتَ ...» (حزقيال ٢٨: ١٤، ١٥ – التفسيرية)

يبدو أنَّ عمل لوسيفر كان يُحتِّم عليه أن يبقى في مَحْضَر الله طوال الوقت. وربما كان لوسيفر يُمثِّل جميع الملائكة الأخرى ويقودهم في العبادة والتسبيح لخالقهم ومالكهم. وسوف نعرف المزيد عن هذا الكاروب الممسوح لاحقاً.

العبادة

كلمة «عبادة» تعني إعلان قيمة الشخص (أو الشيء). والكتاب المقدَّس يقول إنَّ جميع الملائكة كانت تعبُد الله.

«... وَأَنْتَ تُحْيِيهَا كُلَّهَا. وَجُنْدُ السَّمَاءِ لَكَ يَسْجُدُ» (نحميا ٩: ٦)

وحيث أنَّ الله هو الملك صاحب السيادة والسُّلطان، فهو يستحق أن تُعلَن قيمته. وعلى النقيض من ذلك، إذا امتدحتُ أحد أصدقائي أمام الآخرين، فقد يعتقد أحدهم أنني أُعطي صديقي هذا أكثر مِمَّا يستحق! لكنَّ الكتاب المقدَّس يقول إنَّ إلهنا العظيم رَب المجد يستحق كل حمد وتسبيح. لذلك، فمن المُستحيل أن نُبالغ في تسبيحه:

«أَنْتَ مُسْتَحِقٌّ أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَائِنَةٌ وَخُلِقَتْ» (رؤيا ٤: ١١)

«لأَنَّكَ عَظِيمٌ أَنْتَ وَصَانِعٌ عَجَائِبَ. أَنْتَ اللهُ وَحْدَكَ» (المزمور ٨٦: ١٠)

جميع الملائكة تُراقب الخليقة

لقد بدأ الله بعمليَّة الخَلْق. وفيما كان جُند السماء يُراقبون ما يجري بفرحٍ، بدأ الله بصُنع تُحفة فنيَّة رائعة أخرى.

تُذكِّرُنا كلمات الله للنبيِّ أيُّوب بعَظَمة خالقنا التي لا مثيل لها:

«أَيْنَ كُنْتَ عِنْدَمَا أَسَّسْتُ الأَرْضَ؟ أَخْبِرْنِي إِنْ كُنْتَ ذَا حِكْمَةٍ. مَنْ حَدَّدَ مَقَايِيسَهَا، إِنْ كُنْتَ حَقّاً تَعْرِفُ؟ أَوْ مَنْ مَدَّ عَلَيْهَا خَيْطَ الْقِيَاسِ؟ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ اسْتَقَرَّتْ قَوَاعِدُهَا؟ وَمَنْ وَضَعَ حَجَرَ زَاوِيَتِهَا؟ بَيْنَمَا كَانَتْ كَوَاكِبُ السَّمَاءِ تَتَرَنَّمُ مَعاً وَمَلاَئِكَةُ اللهِ تَهْتِفُ بِفَرَحٍ» (أيُّوب ٣٨: ٤–٧ – التفسيرية)